السنة الخامسة والتسعون بعد المئتين

فيها خرج عبد الله بن إبراهيم المِسْمَعيُّ عن مدينة أصبهان، وانضمَّ إليه عشرة آلاف من الأكراد وغيرِهم، وأظهرَ الخلافَ للمكتفي، فبعث إليه منصوراً الكاتب بكتاب يخوِّفه فيه عاقبةَ الخلاف، فلمَّا وصل إليه ناظره وخوَّفه، ووَعده وأوعده، فرجع إلى طاعة الخليفة، واستخلف على أصبهان نائباً، وقصد باب المكتفي في نَفَرٍ من غلمانه، فرضي عنه، وخلع عليه وعلى ابنه ووصله.

وبعث المكتفي خاقان المُفْلِحيّ إلى أَذْرَبيجان لحرب يوسف ابن أبي السَّاج، فسار في أربعة آلاف.

وفيها تمَّ الفداء بين المسلمين والرُّوم، فكانت عِدَّة من فُودي من الرِّجال والنِّساء ثلاثةَ آلاف نفس.

وفي ذي القَعْدة مات المكتفي، وبُويع أخوه جعفر [بن المعتضد]، ولُقِّب بالمقتدر.

الباب الثامن عشر في خلافة المُقْتَدر

وكُنيته أبو الفَضْل، وأمُّه أمُّ ولد روميَّة، يقال لها: شَغَب، وقيل: كانت تركيةً، واسمها جَكك[1]، وغريبٌ المعروفُ بالخال أخوها، أدركتْ خلافته، وسُمِّيت السيِّدة، وكانت لأمِّ القاسم بنت محمد بن عبد الله بن طاهر، اشتراها منها المعتضد.

ولد المقتدر يوم الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومئتين[2].

وكان رَبْعةً ليس بالطَّويل ولا بالقصير، جميلَ الوجه، أبيضَ مُشْرَباً حمرةً، حسَنَ الخَلْق، مليحَ العينين، بعيد ما بين المنكبين، جَعْدَ الشعر، مدوَّرَ الوجه.

---

(١) في الكامل ٨/ ٨ : جيجك.

(٢) في (ف م١) بعدها: ذكر صفته. والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ٨/ ١٢٦ ، والمنتظم ١٣/ ٥٩ ، والكامل ٨/ ٨ ، والسير ١٥/ ٤٣ ، ومروج الذهب ٨/ ٢٤٧ .

ذكر بيعته[١]

لما اشتدَّت عِلَّة المكتفي في ذي القَعْدة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر، فصحَّ عنده أنَّه بالغ، فأُحضر في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، وأحضر القضاةَ والشُّهود، وأشهدهم على نفسه أنَّه قد جعل العهد إليه، وبويع بالخلافة بعد وفاة المكتفي سَحَر يومِ الأحد لأربع عشرة ليلةً خلت من ذي القَعْدة، ولما أراد الجلوس صلَّى أربع ركعات، وما زال يرفع صوته بالدُّعاء والاستخارة، وصلَّى على حصير على الأرض، ولم يصعد إلى سرير الخلافة تواضعاً، ولقِّب المقتدر بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأحد عشر يوماً، ولم يَلِ الخلافة من بني العبَّاس قبله أصغرُ منه.

وقال الصُّولي: لما ثَقُل المكتفي عزم العبَّاس الوزير على أن يبايعَ محمدَ بن المعتمد خوفاً من ابن المعتزّ؛ لأنَّه كان يخافه، وكان محمد بن المعتمد يجالس المكتفي، فأحضره العبَّاس ليلاً، وأحضر القاضي محمدَ بن يوسف، وأراد محمداً على البيعة، وطلب منه أن يؤمِّنَه على نفسه وماله أو يستوزرَه، وكان محمد بن المعتمد عاقلاً أديباً ذا صيانة ومذهب جميل، فقال: ما كنت لأحلِفَ وروحُ المكتفي في جسده، وإن لم أوفِّ لك بغير يمين لم أوف لك بيمين، فقال له القاضي: ارضَ منه بهذا، فقال: قد رضيت، وأفاق المكتفي من مرضه.

ثمَّ إنَّ محمد بن المعتمد تَنازع مع صاحب الشرطة في ميراثٍ لمولى محمد كان قد استولى عليه صاحبُ الشرطة، فاغتاظ محمد، وجعل ينتفض من الغيظ، ففُلِج في وقته، فيئس العبَّاسُ منه، وجعل يميز بين عبد الله بن المعتز وغيرِه، فقال فاتك المعتضدي: والله لا عَدَلْنا بها عن ابن مولانا ـ يعني المقتدر ـ ولو لم يكن للمعتضد ابنٌ أقعدنا بعضَ بناته، ووافقه صافي الحُرَميُّ، وكره الوزير خلافهما.

ولما أفاق المكتفي قال له صافي الحُرَميُّ: إن رأى أميرُ المؤمنين أن يبعث إلى محمد بن المعتمد وعبدِ الله بن المعتز فيُوكل بهما في دارهما، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ النَّاس قد ذكروهما لهذا الأمر، فقال المكتفي: فهل تكلَّم أحد منهما في شيء؟ قال صافي: ما علمتُ شيئاً، قال: فما ذَنْبُهما إن أَرْجف النَّاس بشيء لم يذكراه، فلا تعرَّضْ لهما، فإنَّهما قد ولدهما خليفتان.

---

(١) من هنا إلى ترجمة إبراهيم بن نوح ليس في (ف م١).

قال الصُّولي: وكان المكتفي تعرَّض لنا بشيء من ذلك، فحدَّثته يوماً حديث السَّفَّاح؛ وأنَّه استشار سعيدَ بن عمرو بن جَعْدة بن هُبَيرة أن يصيِّرَ العهدَ بعده إلى عمِّه عبد الله بن علي دونَ أخيه أبي جعفر، فقال له: يا أمير المؤمنين، كنتُ مع مَسْلَمة بن عبد الملك بالقسطنطينية، وجاءه خبر أخيه سليمان وولايةِ عمر بن عبد العزيز، فجَزِعَ جزعاً شديداً، فقلت: لا تجزعْ لموت أخيك، بل لخروج الخلافة عن ولدِ أبيك إلى ولد جدِّك، فأمسك أبو العبَّاس، وعهد إلى أخيه دون عمِّه، وذكرتُ له أنَّ داود بن علي عمَّ السفاح قال له: يا أمير المؤمنين، اعهدْ إلى رجل من بنيك ليَضبطَ هذا الأمر بعدك لئلا ينتشر؛ فإنَّ أمرنا قريب، فقال له أبو سلمة الخلال: ما لك ولهذا؟ هذا أمرٌ يَرى فيه أميرُ المؤمنين رأيَه، وما استعجالك كأنك طَمِعت فيها، والله ما لأحدٍ من أعمام أمير المؤمنين فيها حظٌّ ما دام من ولد أبيه محمد بن عليٍّ رجل حيّ، فاضْطَغَنها داودُ على أبي سلمة، ولم يزل يحتالُ في قتله حتَّى قُتل، فوافقت هذه الأخبارُ ما كان في نفس المكتفي، وخاف أن يخرج الأمرُ من ولد أبيه؛ فعهد إلى المقتدر كما ذكرنا[1].

وقال ثابت بن سنان: لَمَّا ثَقُل المكتفي في علَّته، فكَّر العبَّاس وزيرُه فيمن يقلِّده الخلافةَ، فاستشار أرباب الدَّواوين؛ وهم: محمد بن داود بن الجرَّاح، وعلي بن محمد بن الفرات، وعلي بن عيسى بن داود بن الجرَّاح، ومحمد بن عبدون، فكان في كلِّ يوم يستشير واحداً منهم، فأشار عليه محمد بن داود بعبدِ الله بن المعتز، وأمَّا ابن الفرات فقال: هذا شيءٌ ما جرت لي عادة بالدُّخول فيه، وإنَّما يشاوَر مثلي في أمر العمَّال، فغضب الوزير وقال: ليس هذا حقِّي منك[2] ؟ وألح عليه، قال: إن كان رأيُك تَقَرَّر على إنسان فأمضِه، قال ابن الفرات: فعلم أنِّي قد عَنيتُ ابن المعتز لاشتهار الخبر به، فقال: ما أريد إلا أن تَمحَضني النَّصيحة، قال: فقلت له: إذا كان الأمر على هذا فاتَّق الله، ولا تنصِّب في هذا الأمر مَنْ قد عرف دار هذا، وبستان هذا، وضَيْعة هذا، وجارية هذا، ونعمةَ هذا، ومن قد لقي النّاس ولقوه، وعرف الأمور، وتحنَّك، وجرَّب، وتدرَّب.

---

(١) الأوراق للصولي ٢١ ـ ٢٢ (ما لم ينشر من الأوراق).

(٢) كذا، وفي الكامل ٨/ ٩ : ليس يخفى عليك الصحيح.

قال: فاستعاد العبَّاس ذلك مني مراراً، ثمَّ قال لي: فبمن تُشير؟ فقلت: بجعفر بن المعتضد، ومَن تحكم عليه أولى بمن يحكم عليك، قال: فما أصنع بأمِّه وخالته وقَهارِمَتِه[1] ؟ قلت: تُقيمهنَّ مقام حرمك؛ فإنَّهنَّ يرضينَ إذا أخرجتهنَّ من الضِّيق إلى السَّعَة، ويشكُرْنك على ذلك.

ثمَّ شاور في اليوم الثالث عليَّ بن عيسى، واجتهد به أن يسمِّي له أحداً، فامتنع وقال: ينبغي أن تتقي الله أيُّها الوزير وتنظرَ للدِّين، فمالت نفسُ العبَّاس إلى رأي ابن الفرات، ووافق رأيَه ما كان المكتفي يُسارُّ إليه من تقليد أخيه.

وطلب المقتدر من دار ابن طاهر، فمضى صافي الحُرَميُّ فأحْدَره في حَرَّاقة، فاجتاز بدارِ الوزير، فصاحوا بالملَّاح: قدِّمْ إلينا، فظنَّ صافي أنَّه قد بدا للوزير رأيٌ، فقال للملَّاح: إن قدمت قتلتك.

ومضَوْا إلى القصر الحَسَني وبايعوه، وتمَّ أمرُه، فقلَّد حَجبتَه سَوْسَن مولى المكتفي، وأقرَّ على الشرطة محمدَ بن أحمد بن عَمْرويه الخُراساني، وأقرَّ القضاةَ بالحضرة، وأقرَّ أصحابَ الدَّواوين على ما هم عليه.

قال الصُّولي: وقد اتَّفق للمقتدر ما لم يتَّفق لغيره من الخلفاء؛ ولده ستة؛ منهم: المعتضدُ، والمتوكِّل، والمعتصم، والرَّشيد، والمهديُّ، والمنصور، وأخوه خليفة وهو المكتفي، وقد فخر المأمونُ بثلاثة من الخلفاء الرشيدِ والمهديِّ والمنصورِ؛ لأنَّه لما هجاه دِعْبِل وقال: [من الكامل]

شادُوا بذِكرِكَ بعد طولِ خُمولِهِ واستنقذوكَ من الحَضيضِ الأَوْهَدِ

قال: قاتَلَه الله، ومتى كنتُ خاملاً وقد ولدني ثلاثةٌ من الخلفاء[2] !؟

واستوزر المقتدر العبَّاس بن الحسن، وولَّى ابنَه على ديوان والدته وإخوته، وخلع على الجميع، وفرَّق أموالاً جليلة، ووَصَل النَّاسَ، ولم يكن مؤنس الخادم حاضراً وقت البيعة؛ لأنَّ المعتضد كان قد أخرجه إلى مكَّة مُكْرَهاً، وكان في عَزْمه أن يُلحِقه

(١) القهرمان: هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه. اللسان: (قهرم).

(٢) ما لم ينشر من أوراق الصولي ص٢٩ ، والبيت في ديوان دعبل ص٧٠ .

بمصر كراهيةً له، فاستدعاه المقتدر، ورفع منزلتَه، وكان صافي الحُرَميُّ يشير على مؤنس بمباعدته عن المعتضد شفقةً عليه في الظَّاهر، وفي الباطن حسداً لئلّا يشاركَه في الأمور، فلمَّا قدم شاركه، ومات صافي بعد بيعة المقتدر فاختصَّ مؤنس بالأمور كلِّها.

وكان في بيت المال يومَ بُويع المقتدر خمسة عشر ألفَ ألف دينار، وأموالُ المعتضد وأثاثُه ودوابُّه، وزاد المكتفي أمثالَها، ثمَّ كتب العبَّاس كتاباً إلى الآفاق ببيعة المقتدر، ووفاة المكتفي.

وحجَّ بالنَّاس الفضلُ بن عبد الملك الهاشمي.

وفيها توفي

إبراهيم بن محمد بن نوح

ابن عبد الله، أبو إسحاق، المُزَكِّي، الحافظ، النَّيسابوريُّ.

إمامُ عصره بنيسابور في معرفة الحديث والعِلَل والرِّجال والزُّهد والوَرَع، اجتمع بالإمام أحمد رحمة الله عليه، مِراراً وذاكره، وكان الإمام أحمد يُثني عليه، وكان مُجابَ الدعوة، مَهِيباً، متقلِّلاً، لم يكن له من الدُّنيا شيء سوى حانوت كان يُكريه في كلِّ شهر سبعةَ دراهم[1]، هي لمأكله ومَلْبَسه [ونوائبه]، ولم يقبل من أحدٍ شيئاً، وكانت وفاته في رجب.

سمع خلقاً كثيراً منهم الإمام أحمد [بن حنبل] رحمة الله عليه [وغيره]، وروى عنه خلقٌ كثير.

[وفيها توفي]

أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوري

بغداديُّ المَولد والمَنْشأ، [وأصله من][2] خُراسان من قرية بين هَرَاة ومَرْوالرُّوذ [يقال لها: يعسور، وقيل: بَغ؛ فلذلك كان يُعرف بالبَغوي، وقيل: اسمه محمد بن

(١) في المنتظم ١٣/ ٧٣ : سبعة عشر درهماً.

(٢) هذه الزيادة من طبقات الصوفية ص١٦٤ ، والمنتظم ١٣/ ٧٣ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٩١ ، وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ف) و (م١).

محمد. والأول أصحّ.

قال السُّلمي:] وإنَّما سُمِّي النُّوري لأنَّه كان إذا حضر في مكان تنوَّر، وكان إذا دخل مسجد الشُّونيزيَّة ليلاً انقطع ضوءُ السِّراج، وإذا حضر مع أصحابه لا يؤذيهم برغوث[1].

وكان أوحدَ وقته، صاحبَ لسان وحال، ولم يكن في وقته من مشايخ الصُّوفية أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً.

وقال [الخطيب بإسناده عن] أبي أحمد المغازلي [قال:] ما رأيت أعبدَ من النُّوري، قيل له: ولا الجُنيد؟ قال: لا ولا الجنيد.

وقال أبو جعفر الفَرْغانيُّ: مكث أبو الحسين النُّوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين، ويخرج ليمضيَ إلى السُّوق، فيتصدَّق بالرغيفين، ويدخل إلى مسجد فلا يزال يركع حتَّى يجيء وقتُ سُوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السُّوق، فيظنُّ أستاذُه أنَّه قد تغدَّى في منزله، ويظنُّ مَنْ في بيته أنَّه قد أخذ معه غداءه، وإنَّه لصائم.

[وقال السُّلَميُّ: كانت له قنينة تَسَع خمسة أرطال ماء؛ يشربها عند إفطاره في خمس ليالٍ.

وروى الخطيب بإسناده عن] عمر النَّجَّار قال: دخل أبو الحسين إلى الماء ليغتسل، فجاء لصٌّ فأخذ ثيابه، فخرج من الماء فلم يجدْها، فرجع إلى الماء، وإذا باللِّصِّ قد جاء وقد يَبِست يدُه اليمنى والثِّيابُ معه، فوضعها بين يديه، فلبسها [أبو الحسن] وقال: يا سيِّدي، قد ردَّ عليَّ ثيابي فرُدَّ عليه يده، فأطلق اللهُ يدَه.

[وروى الخطيب بإسناده إلى] أبي عمر الأنماطي قال: اعتلَّ النُّوري، فبعث الجنيد إليه بصُرَّة فيها دراهم، فردَّها عليه، واعتلَّ الجنيد، فعاده النُّوري وقعد عند رأسه، ووضع يده على جبهته، فعُوفي الجنيد من ساعته، فقال له النُّوريُّ: إذا عُدتَ إخوانَكَ فارفقهم بمثل هذا البِرِّ[2]، [وذكرها ابن جهضم وقال:] إنَّ النُّوري لما عاد الجنيدَ قال لأصحابه: اقتسموا علَّته، فأدخلوا رؤوسهم في مرقَّعاتهم، ثمَّ أخرجوها، وعُوفي

(١) بعدها في (ف م١): ذكر طرف من أخباره حكى السلمي وغيره في المناقب طرفاً منها.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

الجنيد، وجلس على فراشه وتحدَّث، فلمَّا قام النُّوري ليخرجَ، قام الجنيد يمشي معه مودِّعاً، فقال له النُّوري: يا أبا القاسم، إذا عُدتَ مريضاً فعُدْه كذا، وأصبح النُّوريُّ وأصحابُه مرضى.

[وحكى عنه ابن خَميس في «المناقب»] قال: اعتلَّ النُّوريُّ والجنيد، فكتم النُّوري علَّته وأظهرها الجنيد، فقيل للنُّوريّ: لِمَ لمْ تخبرْ كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنَّا لنُبْتَلى ببلوى فنُوقع عليها اسمَ الشكوى، ثمَّ أنشد: [من المجتث]

إن كنتُ للسُّقم أهلاً ... ما زلتَ للشُّكر أهلا
عذِّب فلم يَبْقَ عضو ... يقول للسُّقم مهلا[1]

فبلغ الجنيد فقال: ما كنَّا شاكين، ولكن أردنا أن نكشفَ عينَ القُدرة فينا.

وبلغ الشِّبليَّ فقال: [من مجزوء الخفيف]

مِحْنَتي فيك أنَّني ... لا أبالي بمِحنَتي
يا شِفائي من السِّقام ويا بُدوَّ عِلَّتي[2]

[وحكى في «المناقب» عن أبي العباس] بن عطاء قال: قال النُّوري: كان في نفسي من هذه الآيات شيء، فأخذتُ قصبةً ونزلت إلى الشَّطِّ، فوقفتُ بين زَوْرَقين وقلت: وعزَّتك لئن لم تُخْرج لي سمكةً ثلاثة أرطال لأُغْرقنَّ نفسي، فخرجت له سمكةٌ ثلاثة أرطال، وبلغ الجنيد فقال: كان من حُكمه أن تخرجَ له أفعى تلدغُه[3].

قال المصنِّف رحمه الله: الجنيدُ أشار إلى أنه تحكم على القدرة، ولو ظنَّ أنَّه في حالة البَسْط لما قال ذلك.

[وحكى أيضاً عن زيتونةَ خادمةِ النُّوري ـ وكانت تخدم الجنيدَ وأبا حمزة الصوفيَّ الخراسانيَّ وغيرَهم ـ جاءت يوماً إلى النُّوري ومعها خبزٌ ولَبن، وكان بين يديه كانون فيه فَحْم وهو يقلِّبه بيده، فجعل يأكل اللَّبن ويقلِّب الفحم، فسال سوادُ الفحم على يده

(١) طبقات الصوفية ص١٦٨، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٥٢، وما سلف ويأتي بين معكوفين من (ف م١).
(٢) مناقب الأبرار ١/ ٣٥١.
(٣) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٣.

مع بياض اللَّبن، قالت زيتونة: فقلتُ في نفسي: سبحانك ما أقذر أولياءك! ما فيهم أحد نظيف، وخرجت من عنده، فتعلَّقت بي امرأةٌ وقالت: سرقت لي رِزْمةَ ثياب، وجرَّتْني إلى الوالي، وبلغ النُّوريَّ، فجاء إلى الوالي فقال: لا تتعرَّض لها؛ فإنَّها وليَّة لله تعالى، فقال: وكيف أصنع بالمرأة؟ وإذا بجارية قد جاءت ومعها الرِّزْمة، فأطلق الوالي زيتونة، فرجع النُّوريُّ إلى مسجده، والتفتَ إلى زيتونة وقال لها: لا تعودي تقولي: ما أقذر أولياءك، فقالت: قد تبتُ إلى الله تعالى يا سيِّدي].

وحكى في «المناقب» أنَّه خرج ليلةً إلى دِجلة ليَعْبُرَ، فالتقتْ له حافَّتاها، فقال: وعزَّتك ما أعبرها إلا زورقاً[1].

وقيل: إنَّه قال: كرامةٌ بفَلْس؟ ما أريدها، يعني أجرةَ الملَّاح.

وسعى ساعٍ بالصُّوفية إلى الخليفة أنَّهم يعتقدون الحلولَ، فأمَّا الجنيد فانتسب إلى الفقه، وأمَّا النُّوري والرَّقَّام والشَّحَّام وغيرهم فإنَّه أمر بضرب أعناقهم، وجيء بالسيف والنِّطع، فتقدَّم النُّوري، فقال له السيَّاف: هل تدري إلى ما تُبادر؟ قال: نعم إلى القتل، قال: فما حَملك على هذا؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة. فتحيَّر السيَّاف، ورفع أمرَهم إلى الخليفة، فردَّهم إلى القاضي، فلمَّا حضروا عند القاضي ألقى على النُّوري مسائلَ فقهية، فأجاب عنها، ثمَّ قال: وبعد هذا؛ فإنَّ لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا قعدوا قعدوا بالله، وإنْ نطقوا نطقوا بالله، وذكر ألفاظاً، فبكى القاضي، وكتب إلى الخليفة: إن كان هؤلاء زنادقةً فما على وجه الأرض مسلم، فأطلقهم[2].

[وحكى في «المناقب» عن] أحمد بن إبراهيم المُقري قال: كان النُّوريُّ لا يسأل عمَّا لا يعنيه، ولا يفتِّش عمَّا لا يَحتاج إليه، غير أنه إذا رأى منكراً غيَّره ولو كان فيه تلفُه؛ نزل يوماً [إلى] دِجلة ليتوضأ للصَّلاة، فرأى زَورقاً فيه ثلاثون دَنًّا مكتوب عليها بالقار: لطف، [فأنكر ذلك؛ لأنَّه ما كان يعرف شيئاً يعبَّر عنه بـ «لطف»] فقال للملَّاح: إيش هذه؟ فقال: أنت صوفيٌّ فضولي، هذا خمرٌ للمعتضد يريد أن يُتِمَّ به مجلسَه، فقال: أعطني المِدْرَى، فقال لغلامه: أعطه حتَّى ننظر إيش يعمل. فأعطاه، فمال على

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٢.

(٢) ذكر هذا الخبر أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٥٠ـ٢٥١، وابن خميس في مناقب الأبرار ١/ ٣٥٣-٣٥٤، والقشيري في رسالته ص٣٨٩.

الدِّنان فكسرها إلَّا دنًّا واحداً والملَّاحُ يستغيث، فركب مؤنس بن أفلح صاحب الجِسر، فقبض على النُّوريِّ وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضدُ سيفُه يسبق كلامَه، ولم يشكّ النَّاس أنَّه سيقتله.

قال النُّوري: فأُدخلتُ وهو جالسٌ على كرسيٍّ من حديد، وبيده عمودٌ يقلِّبه، فقال: مَنْ أنت؟ قلت: مُحتسِب، قال: مَنْ ولَّاك الحِسْبة؟ قلت: الذي ولَّاك الخلافةَ، فأطرق ساعة ورفع رأسه وقال: ما الذي حملك على هذا؟ قلت: شفقةً عليك، وصرفاً للمكروه عنك، قال: فكيف سلم هذا الدَّنُّ الواحد من بين الدِّنان]؟ قلت: لَمَّا أقدمتُ على الدِّنان كان بمطالبة الحقِّ لي بذلك ولما غَمر قلبي من مشاهدة الإجلال فغابت هيبةُ الخلق عنِّي، فلما صرتُ إلى هذا الدَّنِّ تداخلني عُجْب في نفسي، وقالت: كيف أقدم مثلك على دِنان الخليفة، وتداخَلَها الكِبر، فامتنعتُ من كسره، ولو أقدمتُ بالخاطر الأوَّل حتَّى يكون ملء الدُّنيا دِناناً لكسرتها ولم أبال، فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدكَ فغيِّر ما رأيت من المنكر، فقلت: الآن نقص اليقين، قال: ولِمَ؟ قلت: لأنِّي كنتُ أُنكر لله تعالى والآن صاحب شرطة، فقال: حاجتُك؟ فقلت: تعجِّل سراحي، فأذن لي.

قال أحمد: فانحدر النُّوريُّ إلى البصرة، فأقام بها حتَّى مات المعتضد خوفاً أن يُسأل الشفاعة في حاجة، ثمَّ عاد إلى بغداد[١].

وكان النُّوري يسمَّى في بغداد طاووس العُبَّاد وكذا الجنيد.

ذكر نبذة من كلامه:

حكى في «المناقب» عنه قال: أعزُّ الأشياء[٢] في زماننا عالم يعملُ بعلمه، وعارفٌ ينطِقُ عن حقيقة.

وقال: كانت المُرَقَّعات صَدَفاً على الدُّرِّ، فصارت مَزابلَ على جِيَف.

وقال: الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره، والتفرقة من غيره جمع به.

وسئل: ما الفرقُ بين الحبيب والخليل؟ فقال: ليس مَن طُولب بالتَّسليم كمن نودي بالتَّسليم[٣].

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) في (خ): ومن كلامه أعز الأشياء، والمثبت من (ف م١).

(٣) مناقب الأبرار ١/ ٣٤٩-٣٥٠.

وقال المُرْتَعشُ: سمعت النُّوريَّ يوصي بعضَ أصحابه ويقول: احتفظ بهذه الخصال؛ مَنْ رأيته يدَّعي مع الله حالاً يُخرجه عن الشريعة فلا تقربنَّ منه، والثانية: مَنْ رأيته يسكن إلى غيرِ أبناء جنسه فلا تقربنَّ منه، والثالثة: مَنْ رأيته يَرْكَن إلى الرِّياسة والتعظيم فلا ترجُ فلاحَه، والرابعة: مَنْ رأيته رجع من الآخرة إلى الدُّنيا فلا تخالطْه، والخامسة: مَنْ رأيته مستغنياً بعِلْمه فلا تأمننَّ جهلَه، والسادسة: مَنْ رأيته يدَّعي مع الله حالة باطنةً ولا يَشهد له بها ظاهرُه، فلا تقربنَّ منه، والسابعة: مَنْ رأيته يسكنُ إلى نفسه فاحذره؛ فإنَّه مخدوع، والثامنة: مَنْ رأيته في بدايته يميلُ إلى القصائد فلا ترجُ فلاحَه، والتاسعة: فقيرٌ لا تراه حاضراً عند السَّماع فاتَّهِمْه، والعاشرة: مَنْ رأيته مدَّعياً حالةَ الكمال فلا تقربنَّ منه[1].

وسئل عن الرِّضا فقال: سرورُ القلب بمُرِّ القضاء.

وقال: لا تصل إلى الله حتَّى تخوضَ سبع بحار من نار، وعسى يبدو لك أوائلُ المعرفة.

وقال لفقير: لمن صحبت؟ فقال: لأبي حمزة الخراسانيّ، فقال: الذي يشيرُ إلى القُرب؟ قال: نعم، قال: إذا لقيتَه فقل له: يقول لك فلان: قُرْبُ القُرْب الذي تشير إليه بُعدُ البُعْد مما أنت عليه.

وقال: إذا امتزجت نارُ التعظيم مع نُور الهيبة في السِّرِّ هاجت ريحُ المحبَّة من حُجُب العطف على النَّار والنُّور، فتتلاشى البشريَّة، فيتولَّد من ذلك المشاهدة.

وسئل عن الرِّضا؟ فقال: لو أسكنني الدَّرْكَ الأسفلَ من النَّار لكنتُ أرضى مِمَّن هو في الفِردوس الأعلى[2].

ومن شعره: [من البسيط]

كم حَسْرةٍ ليَ قد غصَّت مرارتُها ... جعلتُ قلبي لها وقْفاً لذكراكا

وحَقِّ ما منك يُبكيني ويُقلقني ... لأبكينَّك أو أحظى بلُقياكا[3]

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٢.

(٢) طبقات الصوفية ص١٦٦ ، ١٦٩ ، والحلية ١٠/ ٢٥١ ـ ٢٥٣ ، والرسالة القشيرية ص٩٠ ، ١٥٩ ، ٣١٢.

(٣) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٠.

وسأل سائل فقال: [من الطويل]

إذا كان منِّي الكلُّ بالكلِّ فانياً أَبِنْ ليَ عن أيِّ الوجودَيْن أُخبرُ

فأجابه النُّوري: [من الطويل]

إذا كنتَ فيما لستَ بالوَصْف فانياً وقوفُك في الأوطانِ عندي تحيُّر

ومن شعره: [من الطويل]

إلى الله أشكو طولَ شوقي وحَيرتي ووجْدِي بما طالتْ عليَّ مطالبُه

ومَنْ قد بَرى جسمي وكَدَّر عيشتي ويَمنعني الماءَ الذي أنا شاربُه

فيا ليتَ شعري ماالذي فيه راحتي وما آخرُ الأمر الذي أنا طالبُه[1]

ومن شعره أيضاً: [من مخلع البسيط]

أشار قلبي إليكَ كَيْما يرى الذي لا تراه عيني

وأنت تُلقي على ضميري حلاوةَ السُّؤل والتمنِّي

تُريد مني اختبارَ سرِّي وقد علمتَ المُرادَ منِّي

وليس لي في سواكَ حظٌّ فكيف ما شئتَ فاختبِرْني[2]

ذكر وفاته:

قال الخطيب: مات النُّوريُّ بمسجد الشونيزيَّة، وبقي جالساً أربعة أيام مقفَّعاً لا يعلمون بموته[3].

وقيل: إنَّه سمع قائلاً يقول[4]: [من الكامل]

ما زلتُ أنزلُ من وِدادكَ منزلاً تتحيَّرُ الألبابُ عند نُزوله

فهام في الصَّحراء على وجهه، ووقع في أَجَمَة قَصَب قد قُطعت وأصولُها قائمةٌ مثل السيوف، فكان يمشي عليها ويُعيد البيتَ طول الليل ـ والدَّمُ يسيل من قدميه ـ ثمَّ وقع مثل السَّكران وانتفخت قدماه، ووقع في الموت، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال:

---

(١) مناقب الأبرار ١/ ٣٥٨-٣٥٩، وطبقات الأولياء ص٦٣.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٣٦١، وذكرها ابن حبيب في عقلاء المجانين ص١٥٣، دون نسبة.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣٧.

(٤) في (ف) و (م١): وحكى في المناقب أن أبا الحسين سمع قائلاً يقول، والمثبت من (خ).

أليس إليه ندعو[١]؟ وقيل له: هل في قلبك شهوةٌ؟ قال: نعم، أشتهي أن أراه، ثمَّ مات، فقال الجنيد: ما بقي أحد يخبر عن حقيقة الصِّدق بعد النُّوري.

أسند النُّوري عن سَرِيٍّ السَّقَطي وغيره.

وقال الخطيب بإسناده عن محمد بن عيسى الدِّهْقان قال: قلت[٢] للنُّوريِّ: ما الذي تحفظ عن السَّرِيّ؟ فقال: حدَّثنا السَّرِيُّ، عن مَعروفٍ الكَرْخيِّ، عن ابن السَّمَّاك، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قضى لأخيه المسلم حاجةً كان له من الأجر كمن خدم الله عُمُرَه»، قال محمد بن عيسى: فسألت سَرِيًّا عنه فقال: حدَّثني معروف أنَّه خرج إلى الكوفة، فرأى ابن السَّمَّاك فسأله، فذكر الحديث وزاد فيه: «وكان له من الأجر كمن حجَّ واعتمر»[٣].

[وفيها توفي]

إسماعيل بن أحمد

ابن أسد بن سامان.

أحد ملوك السَّامانية، وهم أربابُ الولايات بالشّاش وسَمَرْقَند وفَرْغانة وما وراء النهر، ولما بعث بعمرو بن اللَّيث الصَّفَّار إلى المعتضد كتب له بولاية خراسان، [وبعث إليه بالخِلَع، وولَّاه المكتفي الرّيَّ، وبلاد الترك، وما وراء النهر مُضافاً إلى خراسان].

وكان جَواداً، سَمْحاً، شجاعاً، صالحاً، بنى الرُّبُط في المفاوز، وأوقف عليها الأوقاف، وكلُّ رِباط يسع ألفَ فارس، وأقام المُقامات للمسافرين، وكسر التركَ وكانوا سبعَ مئة قبَّة[٤]، وبعث إليهم قوَّاده وهم غارون فقتلوهم.

وكان طاهر بن محمد بن عمرو بن اللَّيث قد استولى على فارس بعدما أُسر جدُّه عمرو، فأنفذ المعتضد بدراً لقتاله، فبعث [طاهرٌ إلى] إسماعيلَ يسأله أن يتوسَّط له عند

---

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٣٥٤: أعود.

(٢) في (خ): وقال محمد بن عيسى الدهقان قلت، والمثبت من (ف م١).

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣١، وهو حديث موضوع، من أجل محمد بن عيسى الدِّهقان، قال الذهبي في الميزان (٧٥٦٨): لا يعرف، وأتى بخبر موضوع، وساق هذا الحديث.

(٤) في المنتظم ١٣/ ٧٤: ألف وسبع مئة قبة. وما سلف بين معكوفين من (ف) و (م١).

المعتضد ـ وقيل: عند المكتفي ـ ليُقِرَّه على فارس، ويقطع عليه مالاً، وأهدى طاهر إلى إسماعيل هدايا من جُملتها ثلاث عشرة جوهرة، وزنُ كلٍّ جوهرة ما بين سبعة مثاقيل إلى العشرة، بعضُها أحمر، وبعضُها أزرق، فقوِّمت بمئة ألف دينار، فكتب إسماعيل إلى الخليفة يَشفع فيه، ويخبره بحال الهديَّة، ويَستأذنه في قبولها، فكتب إليه الخليفة لو أهدى لك كلُّ عامل لأمير المؤمنين أمثالَ هذا كان ذلك [ممَّا] يسرُّه، وشفَّعه في طاهر.

ولما توفِّي إسماعيل تمثَّل المكتفي بقول أبي نُواس: [من المنسرح]

لن يُخْلِفَ الدَّهْرُ مِثلَهُ أبداً هيهاتَ هيهاتَ شأنُه عَجَبُ[1]

[وفيها توفي

الحسن بن علي بن شَبيب

أبو علي، المَعْمَريُّ، الحافظ البغداديُّ.

وإنَّما قيل له المَعْمَري؛ لأنَّ أمَّه أمُّ الحسن بنتُ سفيان بن أبي سفيان صاحب يَعْمَر ابن راشد.

رحل الحسن في طلب العلم إلى الأمصار، وكان فاضلاً، قال أحمد بن كامل: كان في جمع الحديث وتصنيفه إماماً في زماننا، وكان قد شدَّ أسنانه بالذهب، وكان يُكْنى قديماً بأبي القاسم.

وقال الخطيب: وكانت وفاتُه ببغداد في المحرَّم وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودُفن بمقابر البرامكة بباب البَرَدان، فكان حافظاً صدوقاً، والحمد لله وحده[2].

وفيها توفي]

علي المكتفي بن المعتضد بن الموفَّق

قد ذكرنا سيرته مفرَّقة في السنين، وقال المسعوديُّ: أخذ أملاك النَّاس بالشمَّاسيَّة،

(١) ديوان أبي نواس ص٣٢، والمنتظم ١٣/ ٧٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩١٩.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٣، والمنتظم ١٣/ ٧٥، وتاريخ الإسلام ٦/ ٩٣١، وهذه الترجمة من (ف م١).

وأراد أن يبنيَ قصراً بإزاء قُطْرَبُّل كما فعل أبوه، ولم يعطهم أثمانَها، فدعا النَّاس عليه، وكان وزيرُه القاسم بن عبيد الله سفَّاكاً للدِّماء، فحمله على كلِّ هولٍ وبليَّة[١].

وقال الصُّولي: أنشد متوّج بن محمود بن مروان بن أبي الجَنوب بين يدي المكتفي: [من المنسرح]

تَعروهُمُ رِعدةٌ لديكَ كما قَفْقَفَ تحت الدُّجُنَّةِ الصُّرَدُ

فضمَّ الصَّاد وفتح الرَّاء، فضحك المكتفي وقال: يا متوّج، ما يرضى الصُّولي بهذا.

قال الصُّولي: وكنتُ قد قمت إلى الصَّلاة، فلمَّا فرغت وعُدْت، غمزني المكتفي عليه وقال: أنشِدْه البيتَ، فأنشده فقلت: أبى الله أن يدير على لسانك صواباً، فقال: وما الصَّواب؟ فقلت: فَتْحُ الصَّاد وكسر الرَّاء.

والشعر لطُرَيح بن إسماعيل في قصيدةٍ يمدح بها السَّفَّاح، وبعد هذا البيت:

لا خوفَ ظُلمٍ ولا قِلى خُلُقٍ إلَّا جَلالاً كَساكَهُ الصَّمدُ[٢]

وقال المكتفي يوماً لمتوّج: أليس جدك القائل: [من الطويل]

وحكَّم فيها حاكِمَيْن أبوكمُ هما خلعاها خلْع ذي النَّعل للنَّعل[٣]

فقال متوج: يا أمير المؤمنين، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ما عليَّ من وِزْره؟ فقال: بلى، أنتَ على مذهبه، ثمَّ قال: يا صوليّ، أنشِدْه أبيات البُحتري في جدِّه، وزِدْ في رفع صوتك، فأنشدتُه: [من السريع]

إن كَسَدتْ سوقُك أو أخْلَقَتْ بضاعةٌ من شِعْرك الخائبِ
اِنسابَ كي يُنفقَها زَاريا على عليِّ بن أبي طالبِ
قد آنَ أن يَبرُدَ معناكُمُ لولا لَجَاجُ القَدَرِ الغالبِ[٤]

فقال: الحمد لله الذي برَّد معناكم في أيَّامي.

---

(١) مروج الذهب ٨/ ٢٢٦ ، ومن هنا إلى ذكر وفاته ليس في (ف م١).
(٢) ذكر القصيدة كاملة صاحب الأغاني ٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .
(٣) ذكره أبو الفرج في الأغاني ٢٣/ ٢١١ .
(٤) ديوان البحتري ١/ ١٧٦ .

وكان المكتفي يحبُّ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه والعلويِّين، ويُحسن إليهم، وكان من محبَّته لهم يحفظُ ديوانَ الكُميت وينشد دائماً: [من المنسرح]

أنَّـى ومِـنْ أيـن هـاجَـك الـطَّـرَبُ

القصيدة[١].

ومن شعر المكتفي: [من السريع]

مَـنْ لـي بـأن يـعـلـم مـا أَلْـقَـى ... ويـعـرفَ الـصَّـبْـوةَ والـعِـشْـقـا
مـا زال لـي عـبـداً وحُـبِّـي لـه ... صـيَّـرنـي عـبـداً لـه رِقّـا
أَعـتِـقُ مـن رقِّـي ولـكـنَّـنـي ... مِـن حُـبِّـه لا أمـلـك الـعِـتـقـا

وفي أيَّامه فُتحت أنطاكية، واستنقذ منها أربعة آلاف أسير من المسلمين، وغنم المسلمون غنائمَ عظيمة؛ أصاب الفارس ألف دينار، وقيل: ثلاثة آلاف دينار[٢].

ذكر وفاته:

[حكى الصُّولي وقال:] انصرف المكتفي من الصَّيد بناحية تكريت إلى بغداد في جُمادى الأولى [من هذه السنة]، فاعتلَّ من ذَرَب شديد، واشتدَّت عِلَّتُه في شعبان، ويُئِس منه، وزال عقلُه، فأخذ صافي الحُرَميُّ الخاتمَ من يده وهو لا يعلم، فبعث به إلى العباس الوزير، ثمَّ أفاق، فقال له الوزير: ادعُ لي بألف ألف دينار ففَرِّقها في أمهات أولادك، والمسلمون يجعلونك في حِلٍّ منها لما وفَّرت عليهم من أموالهم، فقال: والله لا فعلتُ، حسبي ما اجتنيتُ من الإثم، ولي عند صافي والداية ست مئة ألف دينار؛ جمعتُها منذ كنت صبياً، تُفَرَّق فيهنَّ فإنَّها تكفيهنّ.

وكانت وفاته ببغداد ليلة الأحد مع المغرب لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ذي القعدة، وقيل: بين الظهر والعصر يوم السبت، وحُمل إلى دار محمد بن طاهر، فدُفن عند أبيه المعتضد.

وكانت سنُّه[٣] اثنتين وثلاثين سنة غير شهر واحد. وقيل: ثلاثاً وثلاثين سنة.

---

(١) ديوان الكميت ص٦٣، وتمامه: من حيث لا صَبْوَةٌ ولا رِيَبُ.

(٢) المنتظم ١٣/ ٤ ـ ٥، وانظر مروج الذهب ٨/ ٢٤٣.

(٣) في (ف م١): واختلفوا في سنه على قولين أحدهما أنه كانت سنه.

[واختلفوا أيضاً في خلافته، فقال الصُّوليُّ:] كانت خلافته ستَّ سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، [وذكر جدِّي في «التلقيح» أنَّها كانت] خمس سنين وثلاثة أشهر[١].

وقال الطَّبريُّ: ولد سنة أربع وستين ومئتين، [فيكون له اثنتين وثلاثين سنة. قال:] وبويع لتسع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين [ومئتين[٢].

فعلى قول الطبري تكون خلافته ستَّ سنين وشهوراً وأياماً]، وكان له يوم بُويع خمسٌ وعشرون سنة.

وقال الصُّوليُّ: لَمَّا دُفن دخلنا على العبَّاس الوزير نعزِّيه فقال: مَنِ القائل: [من البسيط]

فما تزوَّد مِمَّا كان يَملِكُه سوى حَنوطٍ غداةَ الموت في خِرَقِ

فقلت: أعشى هَمْدان[٣]، فقال: كأنَّه والله عنى المكتفي بهذا الشِّعر.

ذكر أولاده ووزرائه وقُضاته:

كان له من الولد محمَّد، والعبَّاس، وعبد الملك، وعيسى، وعبد الصَّمد، والفضل، وجعفر، وموسى، وهارون، وعبد الله، وأمُّ الفضل، وأمُّ محمد، وأمُّ سلمة، وأمُّ العباس، وأمةُ العزيز، وأسماء، وسارة، وأمة الواحد.

ووَزَر له القاسمُ بن عبيد الله، والعبَّاسُ بن الحسن.

وقضاتُه: أبو خازم، وأبو عمر، ومحمد بن يوسف.

[وكان] نقشُ خاتمه: عليٌّ يتوكَّل على ربِّه[٤].

[وفيها توفي

محمد بن عُبيد الله بن مَرْزوق

أبو بكر، البزَّار، البغدادي، ويعرف بالخلَّال.

سافر إلى البلاد، وسمع الكثير، وجالس الحفَّاظ، وكانت وفاته في جمادى

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ٩٢، وما بين معكوفين من (ف م١).

(٢) تاريخ الطبري ١٠/ ٨٧ و ١٣٨.

(٣) البيت في الأغاني ٦/ ٥٧ لأعشى هَمْدان.

(٤) بعدها في (ف م١): انتهت سيرة المكتفي والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الأولى، وأخرج له[١] أحاديث كثيرة مستقيمة غير حديث واحد منكر أخرجه عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لما عَرج بي جبريلُ رأيتُ في السماء خيلاً وحوافرُها من الزُّمُرُّد الأخضر، وأبدانُها من العَقيق الأصفر، ذواتُ أجنحة، فقلت: يا جبريل، لمن هذه؟ فقال: لمحبِّي أبي بكر وعمر، يزورون اللهَ عليها يوم القيامة[٢].

وفيها توفي

أبو حَمْزة الصُّوفي

واختلفوا فيه، فقال السُّلَميُّ: هو خُراساني، وقال القُشَيريُّ: هو نَيْسابوري، من مَحَلَّة يقال لها: مُلْقاباذ[٣].

واختلفوا أيضاً في اسمه؛ فعامَّة المشايخ على أنَّ اسمَه كنيتُه، وذكره الخطيب في أسماء المحمَّدين فقال: محمد بن إبراهيم[٤].

وما عليه المشايخ أولى؛ لأنَّهم أَعْرَفُ به من الخطيب، ولهذا قال أبو نُعيم الأصبهاني[٥]: هو بغداديّ. وقال غيره: هو دمشقيٌّ، وهو] من أقران الجُنَيد[٦] وأبي تراب النَّخْشَبي [، وقيل: هو أقدم من الجنيد].

وكان من كبار مشايخ القوم، وأزهدِهم، وأورعِهم، وأفتاهم، وله المجاهداتُ والرياضاتُ المشهورة.

[وحكى ابن خميس عنه في «المناقب» أنَّه] قال: بقيتُ مُحرماً في عباءة سنينَ كثيرة، فكنتُ أسافر في كلِّ سنة ألفَ فَرْسخ، تطلعُ عليَّ الشمس وتغرب، كلَّما حَلَلْتُ أحرمتُ[٧].

[قال: وهو صاحب أبي تُراب النَّخْشَبي وعنه أخذ. والحمد لله وحده.

---

(١) يعني الخطيب في تاريخه ٣/ ٥٦٩.

(٢) وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٦٧ ـ ٦٨، وقال: هذا حديث موضوع بلا شك؛ وهذه الترجمة من (ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ص٣٢٦، والرسالة القشيرية ص١٠٧، ومناقب الأبرار ٢/ ٢١. وفيه أنه توفي سنة (٢٩٠).

(٤) في تاريخ بغداد ٢/ ٢٧٤، والذي ذكره الخطيب باسم محمد بن إبراهيم سلف ترجمته في وفيات سنة ٢٦٩هـ.

(٥) في الحلية ١٠/ ٣٢٠.

(٦) ما بين معكوفين من (ف م١)، وجاء بدلها في (خ): أبو حمزة الصوفي من أقران الجنيد.

(٧) مناقب الأبرار ٢/ ٢٢.

ذكر وقوعه في البئر:

حكاها في «المناقب»، وذكرها السُّلَميُّ وأبو نعيم وغيرهم عن أبي حمزة] قال: حَجَجتُ سنةً من السِّنين، فبينا أنا أمشي وقعتُ في بئر، فجعلت في قعرها، ولم أقدر على الخروج منها، وإذا قد وقف على رأسها رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتَّى نسدَّ رأس هذا البئر لئلَّا يقع فيه أحد من المجتازين، فجاءا بقصب وباريَّة[1]، فهَمَمْتُ أن أنادي أنا فيها[2] فنُوديت: تتوكَّل علينا وتشكونا إلى غيرِنا؟! فسَكتُّ، فطمُّوها، فأقمتُ فيها يومي وليلتي، وإذا بشيءٍ قد كشف رأسَ البئر، ودلَّى رجليه، وهَمْهَم كأنَّه يقول: تعلَّق بي، فتعلَّقت به فأخرجني، وإذا به سَبُع، ونُوديت: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن؟ نَجَّيناك من التَّلَف بالتَّلَف، وكفيناك ما تخافُ ممَّا تخاف، وأنشأ أبو حمزة يقول: [من الطويل]

نهاني حَيائي منك أن أكشِفَ الغِطا ... وأغنيتَني بالفَهْم منكَ عن الكشْفِ
تلطَّفْتَ في أمري فأبديتَ شاهدي ... إلى غائبي واللُّطفُ يُدْرَك باللُّطْفِ
تراءيتَ لي بالغيب حتَّى كأنَّما ... تبشِّرني بالغيب أنَّك في كفِّ
أراكَ وبي من هيبةٍ لكَ حِشمةٌ ... فتُؤْنِسُني بالفَهْم منك وبالعطفِ
وتُحيي مُحِبًّا أنتَ في الحُبِّ حتْفُه ... ومِن عَجَبٍ كونُ الحياةِ من الحَتْفِ

[قلت: وذكر جدِّي هذه الحكاية في «تلبيس إبليس» وقال: أخطأ هذا الرجل، وخالف الشَّرع بسكوته، وقد أعان على نفسه، وكان يجب عليه أن يصيحَ ويمنعَ من طمِّ البئر، كما يجب عليه أن يدفعَ عن نفسه مَن يَقْصد قتلَه؛ فإنَّ إلقاء النَّفس إلى الهَلَكة حرام[3]. وذكر كلاماً في هذا المعنى.

قلت: وهذا الذي ذكر جدِّي هو ظاهرُ الشرع، وليس على أرباب التوكُّل في مثل هذه الأحوال جُناح، ولطالما نُجِّي من بحار الهلاك الغرقى، وأُغرق السبَّاح، وطريقةُ أرباب القلوب والأولياء غيرُ طريقة الفقهاء والعلماء، والحمد لله وحده].

---

(١) الباريَّة: الحصير المنسوج. اللسان: (بور).

(٢) في (خ): فجعلت أُنادي أنا فيها، والمثبت من (ف) و (م١).

(٣) تلبيس إبليس ص٢٩٤، وانظر حلية الأولياء ١٠/ ١٧٨، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، والرسالة القشيرية ص٢٧٩ ـ ٢٨٠، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٢.